

وقعة صفين

[193] قال: وقال الأشعث: يا أمير المؤمنين، قد غلب لك على الماء. قال على: أنت كما قال الشاعر: تلاقين قيسا وأتباعه * فيشعل للحرب نارا فنارا أخو الحرب إن لقت بازلا * سما للعلی وأجل الخطارا (1) فلما غلب على على الماء فطرد عنه أهل الشام بعث إلى معاوية: " إنا لا نكافيك بصنعك، هم إلى الماء فنحن وأنتم فيه سواء ". فأخذ كل واحد منهما بالشریعة مما يليه، وقال على علیه السلام لأصحابه: أيها الناس، إن الخطب أعظم من منع الماء. وقال معاوية: لا در عمرو، ما عصيته في أمر قط إلا أخطأت الرأي فيه. قال: فمكث معاوية أياما لا يكلم عمرا، ثم بعث إليه، فقال: يا عمرو، كان فلتة من رأي أعقبته بخطائها (2) وأمت ما كان قبلها من الصواب، أما وإنا لو تقايس [صوابك (3)] بخطائك لقل صوابك. فقال عمرو: قد كان كذا فرأيت احتجت إلى رأيك، وما خطأك اليوم حين أعذرت إليك أمس، وكذلك أنالك غدا إن عصيتني اليوم. فعطف عليه معاوية، ورضى عنه، وبات على مشق الحيل (4) حتى أصبح، ثم غاداهم على القتال، وعلى رأيه يومئذ هاشم بن عتبة المرقال. قال: ومعه الحدل التي يقول فيها الأشر: إنا إذا ما احتسبنا الوعى * أدركنا الرعى بصنوف الحدل (5) _____ (1) أي إن لقت الحرب وهى بازلا. والبزول: أقصى أسنان البعير إذا طعن في التاسعة. يقول: إذ تجددت الحرب بعد ما طال عهدها وقوتل فيها مرات دخل في غمارها ولم يتهيب. أجل: أعظم. والخطار: مصدر كالمخاطرة، يقال خاطر بنفسه: أشقى بها على خطر هلك أو نيل ملك. وفي الأصل: " لحقت بازلا "، صوابه في ح. (2) الخطاء: الخطأ. وفي الأصل: " يخطؤها " تحريف. (3) تكملة يفتضيها السياق. (4) كذا في الأصل. (5) الحدل: جمع حدلاء، وهى القوس قد حدرت إحدى سبتيها ورفعت الأخرى. وفي الأصل: " الجدل " في هذا الموضع وسابقه، جمع جدلاء للدرع المجدولة. ولا وجه لها هنا. (*)